الكيلانى عون

شعر

عراء يركض بالممرات




عراءٌ يركض بالممرّات

عزاءٌ يركضُ بالممرّاتِ

شعر

الكيلاني عون



2019

اهداء

إلى شيءٍ ما

ربّما لا وجود له



تقول الأسطورة أن الريح لا ترى نفسها وأنها كلامٌ ضاع من ناسٍ دوَّختهم فكرةُ الصدى فتفرَّقوا وهم الآن من يردّ نداءاتِ الأرواح.

في الليل أمسحُ صوتاً بظلِّه

وفي الصباح أتلعثم بجيشٍ يحاصر ما يرويه لخسارته



أخيراً وصلَ إلى الباب

أخيراً وصلَ إلى الباب

اتَّكأَ على نسمة

كلُّ شيءٍ في مكانه

الذاهبون تركوا أصواتهم

والقادمون أيضاً

تركوا أصواتهم بعيداً

الشارع الرمليّ كما عرفته القطط

لا ملجأ فيه لفكرةٍ

تقع من غمامةٍ أو عربةٍ مسافرة

الضّوءُ قليل

والأعمارُ وراءَ الجدران

تخلع نصيبها من المناداة

وتتحدَّث للهواء

أخيراً وصلَ إلى الباب

اتَّكأَ على نسمة

ودخلا كصديقين لبقيَّةِ الغرفة

المكتظّة بالغائبين

على مقربةٍ من حشدٍ آمنٍ بذنوبه

نهرٌ كهذا الجبل

هو ندبةُ صوتٍ على شرفةٍ فارغة

قدمٌ لم يبق منها سوى المسافة

نظرةٌ لشخصٍ مات كأكثر ما يعتصر الهواء

من صورٍ تتحرَّك

ثكناتٌ وحدها تراقب دخانَ السرِّ

سيأخذكَ الأمر لحصارٍ باهت

تتابع جنازاتٍ تدفن العراءَ وتتلوَّى كذئبٍ

فقدَ عينيه، كجمجمة تحتسي الانفجار

ذاتَ غيابٍ

كنتَ تستيقظ على مقربة من حشدٍ

آمنٍ بذنوبه

تقلي أظافركَ بيضةَ النزوح للهشيم

كأنه زمن آخر نعيشه بمحض صدفة

فنبكي لأنه ليس لنا،

كأننا سقطنا بالخطأ في مكانٍ

لا وجود له

وعلينا أن نثرثر بلغةٍ يفهمها الغرابُ

الذي

لن

يدفنَ

جريمةً

لم

نقترفها

بعد



مثلَ هدنةٍ كاذبةَ

لا شيء أكثر من زجاجةٍ تتشظّى

فتجرح سكونَ الأشياء الغائبة

تجرح الهواءَ المملّ فأمسحُ الدماءَ عن الجدار

وأعلِّق صورةً فارغة

قائلاً لشبحٍ مرَّ للتوّ إنها صورةٌ للبحر

فيسرق سفينةً ويطوف الفراغَ

مومئاً لحوريّاتٍ ظهرنَ من كتبٍ غارقةٍ

قارئاً كوخَ العاصفة الوشيكة

وفجأةً تسقط الورقةُ مبلَّلةً بالمياه

وتظلُّ الأسماكُ تنهش لحمَ الشبح

على البلاط.

لا شيء أكثر من ذلك،

أتذكَّركِ قليلاً وأنامُ مثلَ هدنةٍ كاذبة.

طريق

نهرٌ آخر ويصل القلعة

سمكة أخرى ويشذِّب أغصانَ الخيال

قنبلة أخرى ويموت أطفالٌ

يجمعون فراشاتٍ ملوَّنة

يؤسِّسون بها وطناً جافّاً في كراسةٍ

بحجم صفعةٍ يغلقون عليها مخاوفهم

أمّا الآن

فهو يستلقي

كإلهٍ غسلَ عينيه من غبار الخلق

قبل لحظات

وشرع يفكِّر بلغاتٍ مقلوبة

لناسٍ سوف يطعنون أنفسهم

ويرسمون علامات النصر وهم يترنَّمون

بالجنَّة

التي أغلقها أمام الجميع

قَبل أنْ يصير غابةً

ظهرتْ وردةٌ في كفِّه

قطفها قبل عام ولا يدري لمن أهداها

أو كيف ذهبتْ ولم تغلق الباب

فقدها ربما وهو ينظر لشيءٍ

يحاول الآن اعتباره شجرة

يحاول الآن نفخَ الصورة العائدة بريش حكايةٍ

تتبعه كقَسَم المحاربين

يحاول أن يتذكَّر حديقتها، لحظةَ هروبها

من التفاتتهِ القديمة

لكنه لا يستطيع

لا يستطيع سوى أن يجد مكاناً شاسعاً

قبل أن يصير غابة

أيها النّجار اصنع لي باباً ضيِّقاً

أيها النجار

اصنعْ لي باباً

باباً ضيِّقاً كحنجرةِ العصفور

أخرجُ منه بصعوبة

لا أريده ناعماً كخدِّ الطفولةِ

اتركه قاسياً بمسامير تمدّ سيقانها

خارجَ النوم

دعني أخوض التجربة

فيتمزَّق قميصي وأنا أخرج منه

وتنهش ذئابُ الندوب صدري

ويشرب الهواءُ بعضَ دمائي الملوَّنة بالأصدقاء

وأمشي مثل ولدٍ سيقابل نفسه لأوَّل مرَّة

مثل جريحٍ يتأوّه كلَّما سحبَ مسماراً

من دمعته

وسهماً من مخاوفه

فيراني القنّاصُ ويومئ لي

كواحدٍ من ضحاياه السابقين

كواحدٍ من رسائل جنَّتهِ المغلقة

أيها النجَّار

اصنعْ لي باباً

ضيِّقاً كعيدِ مدينتي

لا أستطيع الدخول منه إلى غرفتي

بوزني وهو يزداد كلَّما عدتُ

بكلِّ هذه الأشجار

التي تعتبرني بيتها

وكل هذه الأصوات التي تتعرَّف بداخلي

على بعضها

وبكل القطارات التي سارت على جثَّتي

وكل الظلام وأنا أرسم عليه

رياحاً بيضاء كالفرس الأخيرة

في بلاد الكتب المأخوذة بانتصار الغريق

أيها النجَّار

اصنعْ لي باباً ضيِّقاً

ضيِّقاً وحسب

أجلس إليه، أُحدِّثه فيكبر

وأدخل بحشد هزائمي

وأتركه مفتوحاً للآتين بأعذارهم

عندما سقطت هديَّة أبي

لا أبحث بين عينيكِ

عن ذلك القارب الصغير الذي صنعناه

داخل الغابة

فتدلّت الأسماكُ كالثمار

نقطف منها ما نشاء

من أشجارٍ تريدنا أن نبقى

لا أبحث بين شفتيكِ

عن جرَّةِ العسلِ البارد

أتجرَّع منها وأسمع موسيقى الظلال

ويجري بيننا نهرٌ

نعلِّمه الكلمات كابننا البِكر

ولا أبحث بين أكواخ الشتاء

عن هديَّة أبي

التي سقطتْ منِّي وبكيتُ

بكيتُ ورأيتكِ تشيرين نحو حفرةٍ

وقعتُ فيها ونهضتُ

تشيرين نحو غصنٍ قسمني نصفين

لم أمت، وماتَ أبي

ولم أعد قادراً على رؤية الناس والأشياء

اشتريتُ نظّارةً لأرى أين أقف

أو أجلس، وأنا أبكي عليه.

لا أبحث عن نظرةٍ تعيد صوابَ المشهد

ولا تسليةً أُدحرجها بين الأيام

لا أبحث عن الناس

أو الأشجار

أو مدينتي المذبوحة أمامي وورائي

أو عدالة تصيبني بالغثيان

لا أبحث عن أي شيء أو أمر

ورغم ذلك يا حبيبتي

إنني أكذب

فأنا أبحث عنكِ وعنهم

لأجد نفسي

التي ضاعت عندما سقطت هديَّة أبي

ومات

ضربةُ وقت

لا أُحبُّ الدقّةَ في الوقت

ولا أحترم المواعيد

أذهب قبلها بكثير أو بعدها بزمنٍ يكفي

لقراءةِ كتابٍ عن الحرب الأهليّة

بين ولاءٍ واحدٍ للشكِّ

الذين قسَّموا الوقتَ كالجبن

تعفَّنَ قبل أن يأكلوا منه شيئاً

الذين أعطوا الوقتَ أكثر ممّا يستحق

قطعتهم السيوف

وتركتهم لطيورٍ عمياء

تهاجر إليها بمناقيرها النحاسيّة

لقد حطَّمتُ ساعاتٍ بعدد الفارِّين

من ترتيبِ الحراسة

كانت عقاربها تمتزج بالرمل

وتلدغ نفسها وتموت

بينما أضحكُ كماردٍ عصريٍّ

يزن 70 كيلو من العقارب الميِّتة

ورغم ذلك يرتعش مثل ورقةٍ وحيدة

في مهبِّ الطعنات

مثل وطنٍ

يُقاد إلى المذبحة

لا أُحبُّ الدقَّةَ في الانتظار

لعلِّي أُلغي أن يُصاب نهارٌ

بضربةِ وقتٍ

يتسكَّع بين مآدب المجهول

ونامت الطريق بلا مسافرين

رسمَ الطفلُ خطّاً طويلاً

قال: إنها الطريق.

وجلسَ ينتظر مرورَ العربات

سينزل أبي من سيارة محطَّمة

عائداً من أسنان الحرب

قال كذلك:

عندما ترسم طريقاً

سيأتي أحدٌ تشتاقه

لديه مفتاح البيت وبعض الهدايا

لكنه نام

ونامت الطريق بلا مسافرين



مليءٌ كثقوب الفراغ

شكراً لقبول الهدنة

إنه خطأٌ موهوب، متاهة نسيانٍ يضع

شروطَ نفسهِ لنفسهِ

ملزَمٌ في خطوهِ بتمرير صورةٍ لرأفةِ المكان

لانتشال الوجه من قمرٍ يُجرَّبُ ثانيةً بوسامتهِ

يُوهَبُ رذاذاً على صهوة الأثر

بينه وبين الوقت نوّاسات تخبَّطها التباسُ

المقايضات

عامه الصغير يكبر نادماً

ودرهمه الليليّ العائد بدمية انهياره

مثل حريرٍ يُباع بالحصى

إنه نزاعٌ آخر

تُحرَق كتفٌ وحيدة

مثل بركانٍ صنعته المناديلُ عالياً

بكلماتٍ لم تُقَلْ

سيَّان لديه راية أو سعال مُستأجَر

إنه سخيٌّ كاندلاع المنارات

مليءٌ كثقوب الفراغ المليئة بجماجم الهواء

ووحيدٌ كقريةٍ بكاملها

أبحث عن كسلٍ جديد

لا أبحث بين المتفرِّجين عن مسلسلٍ

يأكل فيه الأبطالُ انتصاراتهم

آخر الأمر

ولا عن هزيمةٍ

تعيدني لأبواب ذاتي

ولا عن فراغٍ أضيفه لقائمةِ المنفى

إنني فقط

أبحث عن كسلٍ جديد

أدليه من النافذة

وأتفرَّج على اللصوص الساهرين تحتها

غداً أصير واحداً منها

رأيتها بعينيَّ

لم يخبرني عطشُ الطيور

ولا الأيام التي لم تحدث

رأيتها تماماً

وهي تضع صوتاً ريفيّاً

في الحوض

وتبكي

فتنمو عيونٌ كالخوخ

غداً أصير واحداً منها

وأنظر لنفسي من بعيد

كل هذا الوقت

ليس لديه ما يفعله الآن سوى الانتظار

انتظار رسالةٍ أو شجرة أو وجه

انتظار حلمٍ صغير يطلب زكاةَ الصّمتِ على الباب

انتظار جنازة يمشي خلفها ويبكي

يبكي أحداً لا يعرفه

ربما رآه لكنه لا يعرفه

كان واحداً ينتظر شيئاً مثله واختفى

قبل أن يسأله:

ما الذي كنتَ تنتظره

كل هذا الوقت؟



الشجرة التي قطعناها

الشجرة التي قطعناها

ظِلُّها لم يبرح

يكبر كل يوم

يكبر ونسقيه بالماء

نجلس تحته أحياناً

وفي الخريف تسقط منه أوراق توبِّخنا

وتذهب مع الرياح

بعيداً

بعيداً

حيث لا تصلها دموعنا



صورة على الجدار

قبل أن يأوي إلى دمعته لمسَ الجدارَ

كان بارداً ورغم ذلك شعر بارتجافاتٍ

متقطّعة كصبرٍ يتأهّب مغمض النوايا للقفز.

هناك عربة في الجدار

ما زالت تسير ببطء

كأنها تفكِّر بالمكان الذي خرجتْ منه،

تريد العودةَ لترى فراغَ الرحيل

وكلام الذين ربما لم يدخلوا بعد

ولو دخلوا فعيونهم باقية تتابع شيئاً يذهب

وناساً يبتعدون بحرقةٍ،

هناك امرأةٌ في الجدار تبكي

وهي تقرأ الرسائلَ القديمة

تسقط منها دمعةٌ في صحن القطة

فلا تشرب الماءَ وتبكي أيضاً

وعيونها على المرأة.



إذا كنتَ وحيداً

إذا كنتَ وحيداً تحت شجرة

ترسم على الرمل قطاراً، وجوهاً تطلّ كالوجوه

ولا تنزل

رياحاً تندفع وهي تلتفت

غيوماً تميِّز فيها صورَ أطفالٍ لا تدري

أين خذلتهم الأيامُ

إذا كنتَ وحيداً كما ينبغي

ارسم على الهواء ما تراه جديراً بالغناء

ارسم مثلاً كومةَ حجارة

واختبئ

ارسم بيتاً صغيراً في القمر

واسكن أنتَ وهواجسكَ فقط



الضوء الساهر كآخر صديق

لا أُحبّكِ لوجه الطريق

أو النافذة

أو لوجهٍ تلعثمَ بشهقتهِ

أُحبّكِ هكذا كمفلسٍ

عليه أن يجد ثمن لفافةٍ

يدخّنها كدرويشٍ وهو يمضي

وراءَ صورةٍ في باله

يريد رؤية بيتها

ويومئ للضوء الساهر

كآخر صديق

لا لزوم لكذبةٍ أخرى

فِي كلِّ مرَّةٍ أُطلقُ النارَ على محطاتٍ فارغة
يركض حشدٌ مذعور من الغبار
تبتعد أوراقٌ لم تكن موجودة
وخطواتٌ كانت تضطجع فوق رمادٍ
مدجَّجٍ بعزلتهِ
أُفصِّلُ حظوظَ المأزق
وأجلس وحيداً:
لا لزوم لكذبةٍ أخرى
لا تزورها العرباتُ

عناوينُ الفراغ

لديَّ سلامٌ كثير

لم أوصله بعد لناسٍ لم أجدهم

سلامٌ من ناسٍ بعيدين

لا أستطيع ردَّه إليهم

يسير ورائي كقططٍ جائعة،

كظِلالٍ تكتب على ظهري

عناوينَ الفراغ

هكذا تُولَد أشيائي

أنا لا أحبكِ

إنني أُقيِّد العالم

وأُعذِّبه بحكايةٍ لم تبدأ

فجأةً أرسم قطاراً

وأركض خلفه

كطفلٍ مصاب بحليبٍ نادر

هكذا تُولَد أشيائي

من عبثٍ كثير يتثاءب نظراتٍ

من ساعاتٍ ترتدي معاطف الضباب

وتدخل بيتاً لا تراه

كنَّا بين القتلى

كنَّا بين القتلى

نقلِّب الجثث لنأخذ أوراقنا وصورَ الأطفال المحترقة

أنا مثلاً وجدتُ في جيبي شجرةً تئنّ

وولداً يتأمَّل السماء

وقطاراً رميته بعيداً عن جرحي

كنتُ مثل الجميع أسأل جسدي المبعثر

أين تركَ ظِلَّه

ولماذا خرج بكل هذه الأثقال

ومتى سيلمّ موته ويعود

إلى النافذة

ليلوِّح لي أو لنفسه

متى سيتماثل لصراخه بين الحقائب؟

سآخذ النافذةَ إلى نزهةٍ

سأرمي من النافذة

الأعوامَ التي انتظرتُ فيها بريداً

أقفلوا عليه الطريق

الكلماتَ التي أحرقتْ وجهي إزاءَ الجدار

الناسَ الميِّتين الذين كذبوا

ولم يعد منهم أحد

الوقتَ الذي أبغضه كقنَّاصٍ يظلّ ورائي

رغم وطاويط الهدنة

الطوفانَ الذي اشتريتُ له قميصاً

فهرب من كل مواعيده

البوصلةَ التي باعت الجهاتَ وهاجرت

النومَ الذي أكلَ الوسادة ولم يعتذر

سأرمي كلَّ شيء

وآخذ النافذةَ إلى نزهةٍ

تعويضاً لنا عمَّا نسيناه وبقي عالقاً

بظِلالنا

لا أحتفل بشيء

لا أحتفلُ بمرور شيء

كالعادة تذهب الأشياء بينما أكون

مشغولاً بربط حذائي

ليس للركض

أو لموعدٍ مع أحد

غالباً أنام بكل التفاصيل الضرورية

للهرب

عندما تسقط قذيفة عشواء

لتختار واحداً أو أكثر

من الباقين على قيد الاحتفال

بشيءٍ مرَّ ويريدون أخذَ مكانه

الساعة

على معصمها ترسم الطفلةُ ساعةً

الساعة الواحدة: السماء

الثانية: الشمس

الثالثة: القمر

الرابعة: النجوم

الخامسة: السحاب

السادسة الجبال

وهكذا حتى تصل إلى آخر ساعة متربة: الأرض

عندها تكون قد نامت بعينين مذعورتين

من أصوات القذائف



غداً

ترك النهارُ حذاءه وهو يبتعد

داهمه الرماةُ السود

فلم يجد وقتاً كافياً لجرعةٍ أخرى

من الأحاديث

غداً نمسح الترابَ عن موته اليوميّ

غداً

إذا

وجدناه

حيّاً

كلّما كبرنا ركضنا أكثر

كنّا نهربُ من حقيبةٍ جلديّة

لها رائحة الثعلب

الذي وُلِدَتْ منه

كلَّما كبرنا

امتلأ الشارع بالثعالب

الشارع والدكاكين والمحطات

الدماء والكلام والأعياد

صرنا نرى الأيامَ

تخرج من حقيبةٍ جلديّةٍ.

كلَّما كبرنا

ركضنا أكثر

مكانٌ ملائم للحب

ليس بمقدوره الركض إلى مكان آمن

بهذه الحمولة التي يقفز فوقها المرئيُّ

وغير المرئيّ

فيكبر الثقلُ كالوحش

يتعب وهو يحمل الأرضَ

والكائناتُ المتأخرة تتدلَّى كالتمائم

والمتشبِّثون يعصرون جسده النحيل مثل ليمونةٍ

ليتوارى العطشُ خلفَ ستارةٍ معتمة

تتعلَّق بها ظلالٌ كانت تدفن ذكرياتها

تحت جذوع البكاء

ليس بمقدوره الصراخَ وهو ينتظر التعبَ

التعبُ أيضاً يريد اللجوء إلى وسائده

وسائده كقلوب الأمهات

يريد سماعَ أغانيه الوحيدة بين الأعداء

كان قرن الثور ينهار

وعليه أن يجد مكاناً ملائماً للحب

نهرٌ تائه في العيون

نهرٌ تائه في العيون

لو بكوا جميعاً لغرقوا

بينما يعود جافّاً إلى أمه

تقول الحكاية: يعيش النهرُ بين الرياح

معلَّقاً من رموش الهدنة

سابحاً إزاءَ نفسه

وأمامَ الوجوه

معتبراً هذا العالم ضئيلاً

دون رواةٍ حقيقيين

يتسلَّقون دميته الأخرى

حيث تتجمَّع الأسماكُ لتطرده نائماً

إلى ما يتبقَّى من عيون

لم يعد يجد مكاناً يجلس فيه

منذ زمنٍ كامتحانٍ يثرثر في عنق الأيام

بالبيت أو وهو يمشي على الخطوات القديمة ذاتها

الخطوات المفتونة بعودته

منذ خوفه الشهير من البنادق

وهو يسمع استغاثةً

إذا وقف أمامَ البحر سمع استغاثةً

إذا فتح النافذة أو المذياع

أو رأى الناسَ يتبادلون الحديث

لم يعد يشرب القهوة

لأنها استغاثة سوداء دافئة

يهرب من ذنوب الشراء لأن الدكاكين

تبيع استغاثاتٍ بأسعار القطارات السريعة

يكبر ببطء بينما يفقد صديقاً كل يوم

بينما تكبر الاستغاثة حوله

تطوِّقه بصداعٍ يلهث مثل كلبٍ

يريد أن يأكل صاحبه آخر الأمر

وهو يسهر أو ينام

يسمع استغاثة بحجم قمر يصطدم بالحقيقة

تكبر الاستغاثة

تكبر

تكبر

تكبر

حتى لم يعد يجد مكاناً

يجلس فيه



حين أصل الشرفةَ

حين أصل الشرفةَ من كسّاراتِ النهار البعيدة

وأحاديثِ أشخاصٍ أُميِّز بينهم ما لا أراه من حبٍّ

حين أقفُ كمن سيشرح للجمهور

أنه لم يصل بعد

وأن صوته الآن

يضرب العدمَ كمجذافٍ مكسور

وأن شرابَ القسمة يُغرقُ ألفَ فكرةٍ

بين الأسرى

حين أُوهم الشرفةَ بطفولتها كخندقٍ آخر

لا يطلّ على النهاية

يخيَّل إليَّ أنني أسمع قهقهةً ما



بيتٌ صغير في الغابة

بيتٌ صغير في الغابة
خلفه شجرتا زيتون
وعينٌ تجري منذ ولادتها
وراءَ هررة المجهول
وأمامه جبلٌ ينحني ليلتقط رسالةً
سقطتْ من خطوة عابرٍ فقدَ صوته
ولم يصل بعد لنفسهِ
أحياناً
بيتٌ صغير في الغابة
أمامه البحرُ
وخلفه صيَّادٌ وحيد
يفكِّر وهو يدخِّن لفافةً ثانية:
بلا قدمين
كيف يسير البيتُ؟

لعبة الأطراف

يرسم الطفلُ أطفالاً آخرين
يلعب معهم لعبةً قديمة
في كل خسارة يفقد أحدهم يداً
أو وجهاً
ولأنه لا يخسر أبداً
تكتظ غرفته بأطراف ربحها وهو يلعب
في الشتاء
لا يستطيع اللعب في الحديقة
يغلق غرفته
ويجمع من الأطراف بعضَ الأطفال
ذات يوم
دخلتْ أمّه لتجده بلا يدين
بلا رأس
لكنه يركض بين الجدران المتهالكة
بعد القذيفة التي تلعب بأطراف الوطن

إذا صرنا بلا أيام

لديَّ الكثير من الدمى

لكل واحدة اسم شجرة

أو بيت أو شخص لم نعد نراه

عادةً أنظِّفها من غبار المسافات

من الحرب التي لا تنتهي

ووحل الفخاخ الكثيرة

من الصدى العالق بخوفها

بالكاد أجد وقتاً لأتخيَّل أين سأهرب

وأي ملاذٍ قدير

سيأوينا معاً

إذا صار حجم الدبابة أكبر من القمر

وحجم الخيانة أكبر من الشمس

وصرنا بلا أيام

كل ما أريده

كل ما أريده

خطأ يضاهي فرحَ وردةٍ تنجو

من أقدام الأيام

ضحكة جدار مليء بصور الطفولة

اصطدم به ولا أضيع بين المسافرين

ساعة معطَّلة

تتظاهر عقاربها البعيدة عن الميناء

برؤيةِ الحصان الخشبي

الذي قذفته أمي من الشباك

حتى لا أهرب باحثاً عن جلبابٍ فارغ

أعزف له فيرقص

وأغني بصوت جهوري لأطفال ماتوا أمام سور

المدرسة

تقول أمي

إذا عدتَ بالجميع سنموت جوعاً

ونحن نبكي أمامهم

كأنبياء طُرِدوا من رحمة الثبات.

أمي تخاف حمَّى الطبل

الذي يراودني على الأمكنة

أنا قلقٌ جداً يا حبيبتي

لستُ قلقاً لأن الريح تحتي كالمتنبي

أو لأن القتلة يركضون خلف ما يشبه برتقالةً

تركها لوركا بجيبي قبل بكاء الهواء

لستُ قلقاً كغرفة رياض الصالح الحسين

أو لفافة الماغوط

أنا قلقٌ جداً يا حبيبتي

لأنهم وضعوا لغماً تحت الوردة

التي تذهبين إليها كل صباح

وذات صباح أيضاً رفعنا خياماً من الدموع

ولم تكوني معنا

قلقي أنني بقيتُ وحدي

أقول للعابرين

سلِّموا عليها

رغم أنهم لا يعودون

رمينا موتنا جانباً وأغلقنا البابَ

خرجنا في نزهةٍ تحت الرصاص

فرشنا ضحكاتنا وجلسنا نمرِّر عافيةَ الريح بين الكلمات

غير عابئين بما يتساقط من أطراف المدينة

من يدٍ تشير إلينا وتركض

من رأسٍ وحيد يبكي وهو يبتعد منقسماً على نفسه

من ظِلالٍ تتداخل فلا تجد وجهتها

وسياراتٍ مذعورة محمَّلة بالجرحى

وباعة مناديل يختبئون وراءَ احتراقها

كنّا سنمضي بقيَّة النهار نخدعه بمفاتيح اللعب

ونؤكِّد كقاطنيه أننا نزور غيابه أحياناً

بأرغفة وهدايا

لكنَّ الشظايا التي قتلتنا

لا تحب النزهة

عدنا إلى البيت الذي سمعناه يصرخ

رمينا موتنا جانباً وأغلقنا البابَ



الطفلةُ التي تتعلَّم الرسم وحدها

رسمتْ خطّاً وقالت: هذه الطريق
نمشاً بأحجام متباينة: الناس
الناس فوق الطريق
الكبير هو الأب والصغير هو الابن
والأم تضع الكحل في عيون المغيب
رسمتْ مستطيلات ومربّعات مثل البيوت
ودائرةً أحياناً هي برتقالة بقدمين
أحياناً تسمِّيها الشمس تنزل للَّعب مع المياه
ورملاً وبنادق وأمتعة وحدائق
سحباً ومدارس ومزارع
رسمتْ ضيوفاً بين شفاه الانتظار
يحملون تراباً راحلاً يسلِّمون عليه كلَّما يئسوا
من الوصول
كل شيءٍ كان يتحرَّى مآثره فوق الطريق

وتلمع غزواته بحدقات الولاء

لكن الممحاة

وهي ترقص على بعض الخطوط

تدبَّرها جنونُ الريح

فتناهى بكاءٌ يجيء ويذهب

يذهب ويجيء كمهاجرين فقدوا ملامحهم

فنسوا جهاتَ الصوت الذي تبعوه حتى ذابوا

وعندما قلبتِ الورقة

سقطتْ أطرافُ الناس وحجارة البيوت

سقطَ الأفق والرمال والنازحون.

جلست تبحث أين ذهب العالم فجأة

لم تكن تعلم أن الممحاة قاسية

وأن أصابعها قادرة على القتل

لم تكن تنوي رؤية العالم وهو يموت

بين يديها

الطفلةُ التي تتعلَّم الرسم

وحدها

إذا صُودف واختارته الطلقةُ

حلقَ ذقنه وارتدى أجمل ثيابه

وضع عطراً يليق بالمساء

أخذ رشفةً من كأس الطفولة

مازحَ قليلاً هرَّته التي ماتت قبل عامين

تأكَّد أن طاولة الصداقة بلا غبار

وأن نباتات الشرفة لم تُسرَق كالعادة

أن جاره العجوز يمكنه شراء علبة تبغ جديدة

وأن البرد الذي قتل صديقه سيعتذر

لا يريد أن يخيّب ظنَّ الطلقة

إذا صُودف واختارته

وهو يسير بين آلاف المنتظرين لاختيارات القنّاص

الذي ربما سيجد ما يرويه لأطفاله

وهو يتحدَّث عن الجنّة

سقطت وردةٌ في عطرها

سقطت وردةٌ في عطرها

حملتها بنتٌ صغيرة إلى البيت

اشترت لها سريراً وطاولةً وحذاءً ومروحةً ورقيّة

أخذتها في العيد إلى مدينة الألعاب

وتدحرجت معها من لسان الشرفة

ركضتا بين الشجرات الزرقاء

ونامتا فوق السّطح مراراً

علَّمتها أسماءَ الليل والنهار وكيف تقول

أنا أُحبُّ الله وأختي

ومتى تمسح أذنيها من الناس،

كيف تضحك وترقص وكيف تعبر الطريقَ

كالفراشة

ولأنها نستْ أن تعلِّمها البكاء

عندما أردتها شظية

وقفت الوردة ولم تعرف ماذا ستفعل أمامَ الموت

وقفت طويلاً

ثم قالت: أنا أخت أختي وتبخَّرتْ

وغابتا معاً إلى الأبد



علَّمه النهرُ

علَّمه النهرُ

أن البحرَ أبٌ يكذب

وأن الرياحَ صناديق

تخرج منها الأسماءُ

تخطف وجوهاً من قطار الضباب

وتركض وراءَ سنّارة

تؤرجح رغيفاً

فجأةً تدوي الطلقاتُ

وتسقط أسماكٌ من القطار



لديَّ الآن ظِلّان

لم أشأ أن أخبر النهر

حتى لا أفقد عينيَّ

أنني وجدتُ ظِلّاً

يقال من يخبر نهراً بغنائمه يصير أعمى

ويخسر ذرائعَ النسيان

نسيان التفاتةٍ ما نحو المرآة أو الطريق

نحو شجرةٍ على حافّة الذكرى

وامرأةٍ تمرّ عجولة تحت المطر

ومقعدٍ متربٍ في محطةٍ لا وجود لها.

كان يتلوَّى محاولاً بلوغَ الموجة

وحيداً يلفظ أسماكاً برتقاليّة

وسنّاراتٍ من خيوط الأحلام

حملته بيدين أبويَّتين محاولاً اقناع ظِلِّيَ

بالنظر إلى داخله

ظلٌّ لا شيء

ظلٌّ لا أحد

لديَّ الآن ظِلّان

أستطيع بهما تمويه الفخاخ

لم أكنْ أريد البكاء

إذا كان التفاح غالياً

فقل للبائع أن يرسم تفاحتين

واحدة لكَ والأخرى نعلِّقها للشتاء القادم

نتفرَّج عليها كالأرض

كلَّما باغتها النومُ

نغنِّي لأطفالها الذين لم يُولدوا

فتضحك

وقالت له أمُّه: عدْ سريعاً

وإذا لم تجدنا تركنا صورتنا العائلية في الدرج

وأخرى رسمتها أنتَ على الهواء

وإذا لم تجد البيتَ ـ كثيرون

لم يجدوا بيوتهم ـ اصنعْ واحداً من الرمال

وافتحه بهدوء حتى لا تستيقظ النمالُ وتجرّ النومَ

خارجَ الباب

وإذا لم تجد العالَم فابكِ قليلاً

وتخيَّل أنه فراغ النشأة

وأنك أدم آخر

سيجد حواء ويأكلان معاً التفاحةَ المعلَّقة

ويتعريان للمذابح القادمة

متى ستذبحني يا أبي؟

متى ستذبحني يا أبي
وتحمل جسدي الجائع إلى حفرةٍ وراءَ البيت
وأنتَ تنظر نحو المدرسة
التي كنتُ سأركض إليها العامَ القادم
بثياب العيد نفسه حيث أسمعتني أغنيةً
وقبَّلتني بين عينيَّ
ورسمتَ لي أرجوحة في قوس قزح؟
أنت حصاني في وسط البيت
امتطيه متى شئتُ
يذهب بي لقطافٍ ناءٍ وجبالٍ تعدّ الأغاني
وحتى ساعة متأخرة من الضحك
نظل معا نرفرف كرايتين
لا تذبحني وأنا أبكي

هل ذُبِحتَ وأنت طفل؟

وحملك حصانك وراء البيت؟

هل رأيتَ الكلمات البيضاء المزروعة فوق السحب

وقصر الحوريات يلعبن بمدنٍ زرقاء

ويقرأن كتبَ العشاق الذين أحبوا نساءً قبل

رؤيتهن

متى ستذبحني يا أبي

وينكفئ حزنك كالظل الحزين

عائداً نحو أحاديثه القديمة ليتذكَّرني؟

اذبحني يا أبي

ولكن لا تتأخَّر يا حصاني الطيب

عندما يأتي المساء

دعني أخيراً أستقرّ على ظهرك

ونجوب الأفق معاً



المسافة التي تليق بالحنين

مَزَجْنا ذنبينا

فاستأثر التُّوتُ بعُذْرَتِهِ

وصُبَّ الزيتُ على جرح الأصداء

كان علينا أن نُخرج الساعات

من الرمل

النهارُ قصيرٌ يغتنم قفزته لنُحاصَر بمكانه الأعمى

وبنات عظامه الأثيرات

الهواء بيننا يرمي أزراره على النعاس

يرويه معطفاً للعزيف

يقلِّده ولايةَ النزع بحسب

ما يتناهبه من حمَّى

أنفاسكِ تربط الساعات وتؤجِّر ظلالها

إوزّاتَ ضياءٍ يدور بالوقت

نكلِّم عاماً في صلاته

نمزج ذنبينا

ونصنع المسافة التي تليق بالحنين

هبطَ سالماً من خساراته

قتلَ نفسه وذهبَ يشتري نفقاً لميلاده المُحكَم

مِنْقَلَةً للنصف المخفيِّ من الأسرى

امتحاناً لمراتب الكسل

وبواباتٍ ليقين النهر الصلصال

لا يتوخَّى الآن ملامسة ما يتراءى ثقباً

في اندفاعةِ الرمية

اختزالاً لمكان الأنقاض تُشحَن صبيَّةً مرتديةً

نزاعَ المرايا

وِهاداً لنُذرٍ تسلَّلَ مكشوفاً بين المتاريس

هو يميل كعربةٍ تضلِّل اقترابَها

لا يرى حادثةَ الشّكل

كترَفٍ يقع من ترجمان الوقت

وأيامه عبارة عن حمَّى المؤرَّقين بخان الفكاهة

يتشبَّثون بعرائس مناجمه

قتلَ نفسه

تنكَّر في ممحاته وهبطَ سالماً من خساراته



وحدنا نلعب بالأيام

وضعنا الجبلَ في ورقة

الغابةَ في أخرى

والبحرَ وراء الكراسة

أخفيناه جيِّداً حتى لا يكتشف اللعبةَ

حتى لا يصطدم برغبته في اقتناء المزيد من الرهائن

ثمَّ أهملنا الوقتَ كالمشيِّعين

وضعنا عيوننا تحت فراش اللهاث

وانتظرنا حدوثَ شيءٍ من تلقاء نفسه

تقضي اللعبة أن أتخيَّل الأصدقاء

وهم يمشون بلا أرجل

أن أتصوَّر سحناتهم المترفة بالأنين

وكما اخترعنا ضباب الحكاية

صنعنا نهايتها بصمت

كنّا نرفع الغابةَ إلى قمة الجبل

بينما المياهُ تسبقنا فنعود

لنلمَّ الأصدقاءَ الذين سقطوا

وهكذا حتى لم يعد ثمَّة مكانٌ نرسم فيه ظِلالَ الأشجار

وحدنا نلعبُ بالأيام



الرجل الوحيد وظِلّه

أحياناً يترك ظِلَّه في الغرفة

يجوب ما يزدريه من ذهول الشروخ

يغازل طلاءَ ارتباكاته

أو بنصفِ أغنيةٍ يجتاز ريبَ الأليف

يطوي أنفاسه وهو يراقب الظِلَّ

من وراء النافذة

وحتى لا يراه الليل

يرميه بنزهةٍ أبعد ممَّا تظنُّ الهزائمُ؛

يُجهز الظلُّ على قرية الثلج

يجرِّب كلَّ الثياب

يسعل وهو يدخن لفافة

يبتسم أمام المرآة لنفسه بنفسه

يسرق ما يهمله الوقتُ

يتفقَّد أرقامَ النساء اللواتي يثرثرن بغيابهنَّ

يغيِّر وضعَ الصورة المائلة على الجدار

لشجرةٍ بلا أوراق

آخر الأمر يرسم ابتسامةً وهو يفاجئ الرجلَ من الخلف

قائلاً: يا لمتاهة الأشخاص

يتراشقان بذكريات الشجرة

يعيدان إليها الأوراقَ والعصافير

رجلٌ وحيد

وظلّه الذي يتظاهر بالغباء



لنخدع الشكَّ بعبورنا إليه

يُعار الزَّمنُ للغبار، لقرفصاء المجهول
وبَشرَة الدَّسَم الخطأ الرُهبان
تُؤخِّرُ حصونٌ تتلاشى
ويهبط المسعفون
لتمريرِ السقالات المشدودة بخيوط المطر
هكذا الدُّوارُ الأشدُّ نزوحاً
سيلٌ من رضوض
دواجنُ أنحاء
ودَيْنٌ يغادر نوازعه
اصطفيني مرَّةً عيناً تؤتَمَن على الشقاء
وادخلي سمْعَ الصورة
وديانَ الفصول تُجمَع في نظرةٍ واحدة
هزِّي جلالَ اللون
لنخدع الشكَّ بعبورنا إليه

أغنية الغرقى

يتسلَّق الغرقى السفنَ الراسيةَ

يملؤونَ جيوبَ الليل بعَرَقِ عمَّال السطح المنهكين

يسرقون أحذيةَ البحّارة النائمين ولفافاتهم

ووجباتٍ أغفلها القائمُ بأعمال الجوع

يترنَّمون بالتفاتاتٍ لكلِّ الرسائل المحفورة

على صدر البردِ

شحّاذِ القطيع الملقى كالغبار بلا شكلٍ

ويكتب أحدهم:

كنَّا هنا يباغتنا صفيرُ الجزر المأهولة بالأشباح

وتنقر ظهورنا طيورُ الشمس

ويبيعنا كتابٌ لجاريةٍ تلد كلَّ يومٍ ديكاً

يمزِّق اليابسةَ مثل المناديل

كنَّا هنا ترسمنا أقلامٌ عجولةٌ

تمحونا مِلَلُ أمزجةٍ نحمل الضوءَ إلى سيِّدها

مكبَّلين بالعواء

كنَّا هنا وأنقذنا البحرُ من فخِّ النجاة

ويعودون بأثمان الضياء المعبور:

نحن الغرقى

نسمع الأنينَ فنبكي

نحن لصوصُ الأزرق

ثمةَ دائماً بيننا مكانٌ لضيفٍ جديد

يسقط من تلقاءِ التعب

سأُحدِّثكم كطفلٍ يكلِّم ما يرسمه

سأروي لكم شيئاً عن البرتقال

عن الطليق أناديه فيهفو للأسر

عن النوم حاسراً كدماته لأغلفة الثقل

والمدينة التي يحكمها ثلاثةُ معصومين

عن تأويل الردهات

عن القذيفة التي حفرت الجدارَ ودخلتْ

انكفأت خجلاً ولم تنفجر

وكيف كانت ترتعش من الجوع والبرد

راقَ لها الحساء الحار والغطاء

راق لها شحوبنا فطلبت يدَ صداقتنا

ونامت بيننا كضيفٍ نزيه

كانت لها وجهة نظر أخرى

كانت بحاجة إلى صديق

بكامل أطرافه

يحدِّثها عن البحر

وتارةً يلعبان الكرة

كجائعين هربا من المدرسة

عن الذين وقفوا قليلاً وانتحروا

والذين ذهبوا ورجعتْ أرواحهم لتسرق ما تركوه

بين الكلام

سأُحدِّثكم عن وباء الفرجة

والمقابر التي يداهمها المسلَّحون بحثاً

عن موتى يتنفَّسون

عن نضوب الدراهم في حصّالة الأيام

وسجونٍ لتعذيب الأرغفة والمدارس

عن الناس

والمياه

والأرصفة

سأُحدِّثكم كطفلٍ

يكلِّم ما يرسمه

ويصادف ما يعتريه من أشجار

ولكن قبل ذلك عليَّ أن أمسحَ اللوحة السوداء

بلونٍ آخر

لأنني أحياناً أضع العالم ورائي

أكتب ما لم أستطع رسمه

وعليكم أيضاً قبل ذلك أن تجرّوا الضحكَ

من خلجات دائنيه

مثل سمكةٍ في شجرة

مشى إلى الوراء ليعرف كم المسافة

بينه وبين الأشياء التي مرَّ بها ولم تنظر إليه

وسطَ ناسٍ يسيرون مثله إلى الوراء

يمشون ويبكون

وحدهم يمشون ووجوههم إلى الخلف

الذي هو أمامهم ولا يرونه

بوسعه اختلاق زمنٍ ذهبَ يتعشّى البخارَ البعيد

ركبَ دراجةَ ملاكٍ ميِّتٍ

أردفه خلفه ولم يسأله أين سينزل

أخبره فقط أنه لن يتوقّف

وعندما يصل الصورةَ المنتقاة لحيرته

يمكنه القفز متناثراً كالبارود

يمكنه ابتلاعَ كذبةَ وجوده أخيراً حيث توجَّب الأمرُ

حيث لا أحد في انتظاره

حيث وحده سيبني البشرَ والبيوت والأشجار

ويقتلع الألغامَ التي تركها العدو

والحزن الذي شربته الينابيع فماتت

يمكنه أيضاً

ملامسة الرقص الأبيض في الهواء

وحيداً

فقط

مثل

نفسه

مثل سمكةٍ تعيش في شجرةٍ

ولا تموت



سرتُ طويلاً ورائي

سرتُ خلفه طويلاً

وقفَ أمام البحر رمى رسالةً ومشى

في المقهى طلب فنجاناً تركه لعابرٍ حزين

وذهب يدندن بعينيه

تريَّثَ لحظات تحت نوافذ كثيرة

كمن ينتظر وجهاً أو ظِلّاً

سينشر كلماتٍ على حبال نظراتهِ

اشترى سلَّةَ حكاياتٍ تركها أمام طفلةٍ

تلعب بحجارةِ الأب الذي لم يعد

أخذَ صورةً تذكاريّة مع شجرة؛

سرتُ خلفه طويلاً

حتى بلغ شارعنا ثمَّ ضحكَ قليلاً أمام بيتي ودخل

وعندما طرقتُ البابَ كان يومئ بالمفتاح

كان يشبهني جداً

كان أنا تماماً

سرتُ طويلاً ورائي

وسهرتُ معي

طاولةُ الأيّام

يتابع الرجلُ نشرةَ الأخبار:

هجومٌ مسلَّحٌ لاجتثاثِ حديقةٍ

عشرات القتلى والجرحى يمهِّدون انعكاسَ الجذوع

على الكلمات المعتمة

وزيرٌ على ظهر تنّين باتجاه القمر

لم يحدث شيءٌ حتى الآن

بين حطام الألوان اليابسة

تتفرَّج المرأةُ على أطباق العالم

وحصص الخيال العلميّ:

كيف تصنعين وجبةً كاملةً من أوراق الخريف

كيف تعيدين رشاقةَ الظِلِّ بماعز الحجارة الصفراء

وبقليلٍ من الصّبر وملعقةٍ من جدل الكمّون

يمكنكِ دهنَ العالم مرَّةً وراءَ كلِّ ذكرى

يتابع الرجلُ

تتفرَّج المرأةُ

ينجبان آخرَ السهرةِ وحشاً يأكل السّاعات

فيما الموسيقيّون يغادرون السّطحَ

إلى اشتباكٍ آخر

بين الأموات



كنتُ قريباً من انشغالكِ

ثمَّةَ قذيفةٌ فجَّرت التواريخَ برأسي
فلا أدري
هل وُلِدتُ قبل اكتشاف النوم
أو بعد انهيار البرج الذي يحمل
عشَّ النسيان والذكرى
هل أخفيتُ الكنزَ تحت شجرة
أو فوق جوادٍ لم يظهر ثانيةً
وكيف كبرنا معاً
وكل قميص تمزِّقه لهجاتٌ رياحٌ
بعيداً عن ظِلِّهِ
كنتُ قريباً من انشغالكِ تحصين المراكبَ
الغارقة قبل استدارة الميناء للفافةٍ أخرى
هل كانت الواحدة ليلاً
أو أنه نهارٌ أسلمَ قياده لأوَّل مغلوبٍ

هكذا لأوَّل دعابةٍ تكمِّم ألقابَ الرواة

عندما سقطَ الضوءُ في البئر

مددنا له الحبلَ ولم نجده بين النّدى

يداه مجروحتان من العشق

يحجب بهما عينيه ويغني

عليَّ الآن استرجاع رأسي

الواقف كصندوق بريد

فوق رصيفٍ ميِّتٍ

يردِّد النشيدَ الوطني

لدولةٍ لا يدري أين يقع ضريحها

في تمام يأسهِ

عليَّ الآن المقارنة بين أمرين لا وجود لهما

وعلى الرياح أن تضيف الملحَ

لسحابةٍ تضحك معي

ونحن نعدّ القططَ التي سرقت الهتافَ

وماتت



هواءٌ يُلْمَسُ وحده

يشعُّ بياضٌ
ليس له ما يمثِّل صورته
ولا يتعيَّن عليه
رسمَ شفقةٍ من نومٍ حالكٍ يتفصَّدُ ثماراً
قاسية لزاويةٍ تنتهي
بانفعالٍ متربٍ لأخطاء تضاعف
غيومَ الضّحك
حجرٌ ضوءٌ بياضٌ
هواءٌ قليلاً ما يشعر بما يحمله
ينزل اللامرئيون تباعاً
تباعاً تجرح الأيائلُ سرابَ الفكرة
وهي تردّ السهامَ لبدء خاسر
إذ ذاك هواءٌ يُلْمَسُ وحده
أبٌ هزيمةٌ ضد المعاد

كنقشٍ لا دلّالِ الصور

أيكون بينهم الأوفر غياباً بمقترفِ

السماء مذاقاً صائباً

الأخير بعبثِ النديم يضلِّل جراءَ اليقين

أيكون هكذا قرب نفير الضباب

قدحاً نائماً يصف الليلَ متمادياً في رهانه

يده قوس الصحراء عيناه وسادتان

وهناك أثر

لمروِّضين بدَّدوا الصيفَ وراءَ لا شكلهِ

أُمٌّ أخرى تثأر لأصواتٍ مظلّاتٍ تحت البياض

تأخذ ليلَ الباب لولادةٍ فارغة

أمامها ريحٌ

وخلفها نجّارون يخلعون صناديقَ الأعوام

فتخرج مسامير كلمات منسيَّة

كان نهاراً يرمق حديقة

كانت حديقة ملمومين



إذا أحببتُ شيئاً أغمضتُ عينيَّ

النظرُ طويلاً إلى الأشياء يخفيها،
تسيل وتجفّ كماءٍ غابر
حرقته الشمسُ أو الوحدة أو الترقّب
النظرُ بحرقةِ ثباتٍ لما يتحرَّك يبخِّر فرحه الصغير
كشكلٍ ما ويلقي به في سواد البداية،
سيمرُّ وقتٌ مرهق قبل عودته
لعينيكَ، لنرجسةِ نضاله كصورةٍ تُرى
ما تحبّه تقتله بالتحديق المستمر،
تحفر رقبته وأنت تطالعه
من الخلف وتخرج منها لوجهةٍ ما،
لفراغٍ ينتشله حصَّادون صامتون
كلُّ واحدٍ منهم لا يدري أين رأى نفسه سابقاً

نظرتُ طويلاً إلى أبي فماتَ وهو يرمق الأشجار

التي ارتفعت فجأة لتراه

كان يتمتم أغنيةً قديمة

وتعزف أصابعه على السرير البارد

لحناً قفزَتْ كلماته من النافذة.

أحببتُ المدينة بعينيَّ فأرسلتِ الحربُ كلابها

بعيونٍ حمراء

وانتشرَ غبارنا عندما بدأنا نختفي

أحببتُ امرأةً فنظرتْ إليها مدينةٌ نائية

وذابت هناك بأطفالها الآخرين

الآن إذا أحببتُ شيئاً أغمضتُ عينيَّ ليبقى

لأرسِّخه كجنوني

وأُبادله قليلاً من الحياة



ثعلبُ الريح

إننا نركض لمداعبة حجر الأمس عند جسرٍ قريب

معتصمين بخفَّة ضلالٍ حميم

ما من سياجٍ قبل العنب بعد اليقطين

ما من ذهول أعشى نسرق مأواه

ورغم حطام الرنين اختلط الأمر

ولم يكن هناك سوى ورقاتٍ جافّة

نحملها برفقٍ حتى لا تطير

لكن ثعلبَ الريح سرعان ما يأخذ معها رموشَ الحِيَل

لم يبق سوى رفيفِ وشايةٍ تقود العدم

إلى صيحة الرعد

سوى صخب القرين



أحلم ببلادٍ صغيرة

أحلمُ ببلادٍ صغيرة

تكبر في غابات الحنين

كل سأمٍ أشتري لها لعبةً ومصابيح زرقاء

وكل عيدٍ أزرع لها شجرة

وأغطِّيها شتاءَ الأغاني الحزينة

بندمٍ يجرّ الموانئ

من سهرات النازحين

غداً إذا صارت وطني

أصير شعبها الوحيد

كنتُ أحتفظ بقلمٍ أحمر

كنتُ أحتفظ بقلم أحمر
أُصحِّح به ذنوبَ الرياحٍ
وأمنح الخطأ الأمين شعوباً من ودائع الرقص
وأُزيِّن أرصفةَ النوم بنومٍ بديل
أضعُ البرقَ مكانَ البابٍ
والبابَ مكانَ الملح
وأُلفِّقُ للغيم أسماكاً
للنازحين حدائقَ تشبه ما غادروه
وللطفل دميةً لا تحترق
كنتُ أُسدِّدُ ما أرتئيه
فتعود السفن
ويعود الوشاحُ الحزين
لكنه ضاع بين نباح القذائف
وارتبكَ النبيذُ الملاك

كلها عثرات الجحيم

دخلنا في الحائط

اصطدمنا بآخرين من الجهة المقابلة

كانوا أيضاً يجيدون سلقَ الهراء

والعبث بهيكل الصواب الناضج

تعارفنا كزجاج بنايةٍ سقطت فجأةً

وبدأنا نجمع أطرافنا المتناثرة

قال لي رجل بلا قدمين: لا بأس إن استبدلتَ رأسكَ

برأسٍ فارغة من مدينة أخرى

كلّها ثمرات السيَّاف

رتِّبْ كيانكَ الجديد على مهلٍ ودونما تفكير

الذين تمعّنوا فكرةً ما صاروا بلا وجوه

ليكن ما تراه احتمالكَ النزيه

ما تخطفه عهدكَ بالرياح

ولا بأس أيضاً إن كنتَ ناقصاً

كلها عثرات الجحيم

لبرهة يختلط الأمر

أضع بيضةً في المقلاة

أسمع الصراخ

تغادر رأسي قططٌ عمياء

هناك خطأٌ جديد يطرق البابَ

هل أنت وحيد؟ يسألني

لبرهة يختلط الأمر

كان وجهي يريد الدخول

وكانت يدي تحمل مهاجرين

وضباب سفنٍ بين الجبال

بينما الأخرى تترك علامةً

للمتأخرين بسبب أصوات تتقن الفرار

العاصفة

تركتُ ورائي حقولَ الوجوه الصفراء

السفنَ المحترقة على الشاطئ

وثدي العاصفة الشاحب

منتعلاً زفرةَ الجحيم أصعد إلى قمّة الجبل

مُبْتَلى غير مُبْتَلى بالرنين والأزهار

تحاذيني شجرةٌ وكتاب

يا عين النهر الوحيدة الحزينة

لا تنجبي أطيافاً تنظر طويلاً نحو شيءٍ لا يُرى

ولا تكترثي الآن

الآن أو بعد قدحٍ على أبواب الهزيمة

بكلماتٍ لا تجمع الحطبَ

ورسائل تحتفظ بما قُدِّرَ له أن يذوب مشركاً برائحة الظل

القبر المستحيل

الرمال التي صنعنا منها بيوت الطفولة

طوّقناها بامتلاكٍ لا يُضاهى

سهرنا نرمِّم بخيالاتِ البرق فوانيسَ الحجارة

على أبوابها

ونخفي أعوادَ الثقاب المحترقة وراء ظهورنا

حتى لا تشتعل ثانيةً وتنهار العناقيد

المتدلّية من الضحك

كنّا أصغر براهين الحصار

نرتِّب جهرَ الحصى وفاكهة النقوش

الرمال التي قلبها مثل الوسادة

تحملها الآن الشاحنات بعيداً

ستُباع بثمن زهيد

ويحلِّق النومُ على قبره المستحيل

خذ كأسكَ ولا تلتفتْ

أُدوِّن ما نسيته

يمضي النهار ثقيلاً

الشجرةُ الوحيدة وراء صوتٍ بعيد ومتردِّد

تذكِّرني ببعض الأشياء

المدينة البيضاء في جيبي

تعيدني لنهال الظل بين فجوات الحظوظ

الألوان – باعتدال النبوءات – تبعثر ما ينهمر من

أزرار الأشباح

بساتينَ متأخرة برؤوسٍ غرقى

أُدوِّن ما هجره عازفُ الغيظ الرصين

نبيذَ الندى وشهوده كلمح الأفول

علفَ الساعات الوريثة

بهتانَ القضم بيأس البياض المحتدَم

قارورةَ النزع الضرير

أُدوِّن شبهةَ الريح للريح

وأحرقُ سفينةَ الأوراق مومئاً للضجر النديم

خذ كأسكَ ولا تلتفت

مرايا الرماد

يتخيَّل طريقاً ويسير على ظهر الملح

يصطدم بمشرَّدين تخيَّلوا نفسَ الطريق

وكالآخرين تغادره أطرافه مثل كلماتٍ بين عاصفة بعيدة

تجرّها كلابُ صيدٍ ميِّتة

تسقط يده فيلتقطها رجلٌ آخر

تذهب عيناه لرؤية النمال، عيونٌ كثيرة تبحث عن شيء تراه،

يرتبك ويأخذ عينَ امرأةٍ حزينة نسيتْ كلاماً مفتوحاً فوق

المنضدة نسيتْ أيضاً حبلاً معلَّقاً وسط نفسهِ

وعيناً أخرى لعجوز ظهرَ فجأةً كمطحنةِ أعوامٍ لم تحدث

وكالآخرين يترنَّم بأغنيةٍ فيتلاشى وجهه

ويمدّ يده لوجهٍ لا يعرفه

في كل مرة يستبدل قطعةً من جسده

بجزءٍ غادره أشخاصٌ يسيرون بمحاذاة نهر مرتبك:

كان النهر مجرى صغير وكبر، هو الآخر يعيش بما التقطه

بلا تفكير، بما يصادفه خلال سيره.

كان سيختار مذبحةً بمقاس الضجر الذي يلائم الوسائدَ كلها

أو يتعثَّر بخدم اللغة كما تفعل الأصوات

كان سيعثر على يقظته قبل المغيب

أو يكتفي بطعم المصابيح تفوِّض القتلى بحوار المهاجمين

يرتاد هرباً كحانة مريدين نفضوا غبارَ الأيام بأخرى

تطرِّز أثوابَ الممكن، تبلِّل ثأرَ البخور بسجع الحظوظ

لكنه فقط يتخيَّر طريقاً ويسير

يسير ويتناثر بين ناس تتبادل أطرافها

وعندما يصل سيكون غير الذي كان أول الأمر

سيتذكَّر ماضيه في الآخرين.

تقضي رزانة الخليط أن نضع المكانَ في مكانه

نزولاً إلى مرايا الرماد



أعرف أنني وحيد

أعرف أن المساء ضيِّق مثل حذاءٍ

دهسته كل العربات المتجهة نحو صفيرٍ غامضٍ

وأن حانة كهذه

لا يرتادها البحّارة قبل موتهم

وأنني أصغر ممّا ينبغي

لرجلٍ لا يعبأ بهذر الساعات على شواطئ الصواب

أعرف ولا شكّ أنني وحيد ألوِّنُ الغبارَ بفكرةٍ

تركها إسكافيٌّ كان يتعقَّب شجرةً تتكلَّم

وأن السحرة الذين نبشوا الوادي

بحثاً عن دفائن الجنِّ

وجدوا صهيلاً طريّاً كلحم النظرةِ إلى نفسها

أعرف أنني خجول جداً ولا شيء يناسبني

في هذا الثلج المقعَد

سوى ضحكةٍ شاهقة

أرويها لعابرين ليس لديهم مكان يتحدَّثون إليه

عليه ككلِّ الناس

عليه ككلِّ الناس

الاحتفاظ باسمهِ بمنأى عن الغبار

لديه مروحة بهيئةِ سلّمٍ

يصعد وينظر

يصعد ويقدِّر حجمَ العاصفة

وعدد الأسرى الذين هربوا بلا أسماء

ودون حاجةٍ لمكانٍ يأوي ما تركوه على الجدار

مرتعشاً ووحيداً

وحيداً وخائفاً من شبح الكوّة العالية

حيث كان مقصٌّ يتأهّب لشعر الشمس كل صباح

وكل مساء يبكي؛

عليه ككلِّ الأموات

أن يغسل وجهه ويكوي عينيه جيداً

أن يطالب بوقتٍ إضافيٍّ

لرؤيةِ شجرة

أو باب بعيد

أن يقسم ككلِّ الموجودين أنه بخير

وأن الكذبة هذه أيضاً

عليها ككلِّ الصّواب

ألّا تؤمنَ بثعلب الشّمع

خرجَ مسرعاً كشخصٍ حقيقي

كان على المنضدة

الرأسُ والحذاء ودليل الجهة الناطقة

فنجانُ القهوة ووليّ أمر السعال

كراسة الديون وفتوى ظهور نعاس الفجأة

حطام النظرة الأخيرة لغول الحزن

كانت يداه على المنضدة

عناوينه وأصل الرياح التي غمرته بالأصوات

لكنه رغم ذلك خرج مسرعاً

مسرعاً ووحيداً

كشخصٍ حقيقي يخشى أن يفوته منظرُ العربةِ

المرسومة على جدار المدرسة



تمرح غزلانهم

بين ضلوع المياه بعينيَّ

الذين انتشلوا النهرَ من نسبائهِ
الذبيحةَ من رقبة الميزان
البعيدون كأصابع النجّار في بروق الأبواب
النائمون كجندِ الخطوات تعبوا من جمع الكواكب
بنظراتهم إلى الله
تعبوا من ممالك الهرير
من خادمات الغبار الموصد
الذين هم لا غيرهم يضربون بفؤوس الحشرجةِ
فؤوسَ الغامض؛
الزائلُ بينهم ما لا قطيعةٌ تأويه.
الذين أرسلوني لرعد الوريث الحطَّاب
لفرجتهِ قبل صلصال الوقت
تمرح غزلانهم بين ضلوع المياه بعينيَّ

أكتبُ
لأبقَيكِ
حيَّةً

أكتبُ لأبقيكِ حيَّةً

لتكوني أوّل الناجين من وسامةِ الغياب

ليظلَّ البحر زاخراً بجوعه

فلا تغرق المراكبُ التي تحمل رسائلي

وتطفو الكنوزُ المختومة بالزّفير

لأشعر بكِ

أقرب من حبل المتاه

حيث أجلسُ قربَ مدخنة الأيام

كآخر يتيمٍ يصرخ صوراً بدلَ الكلمات



كُتبت بين 2016 – 2017



المحتويات: